doi.org/10.52866/esj.2020.01.16.06

الذوق العربي في العصر العباسي

م. فينوس ميثم علي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص :

الـذوقُ كلمـةٌ جميلـة مُوْحِيَـةٌ تَحْمِـلُ في طياتهـا معـاني اللطـفِ، وحُسْـنِ المعشر، وكـمالِ التهذيـبِ، وحسـنِ التصرفِ، وتجنـبِ مـا يمنـع مـن الإحـراج وجـرح الإحساسـات بلفـظ، أو إشـارة أو نحـو ذلك.

فهـذه المعـاني ومـا جـرى مجراهـا تُفَسِّرُ لنـا كلمـة الـذوقِ، وإن لم تفسرهـا المعاجـمُ بهـذا التفسـير الملائـم لمـا تعـارف عليـه النـاس، وجـرى بينهـم مجـرى العـرف؛ فتراهـم إذا أرادوا الثنـاء عـلى شـخص بـما يحملـه مـن المعـاني السـابقة قالـوا: فـلان عنـده ذوق، أو هـو صاحـب ذوق.

يهـدف البحـث الى دراسـة الـذوق في العـصر العبـاسي وتسـليط الضـوء عـلى طبقـة مـن المجتمـع جسـدت الـذوق في أروع معانيـة وقدمـت صـورة مشرقـة للـذوق العـربي الـذي كان لـه الريـادة في ذلـك حيـث كانـت اروبـا تعيـش في فـوضى عارمـة في الحيـاة العامـة .وقـد تضمـن البحـث الـذوق لغـة ثـم الـذوق اصطلاحـاً ولطائـف مـن الـذوق الإسـلامي ثـم الـذوق في العـصر العبـاسي والدلالـة اللغويـة للظـرف والظرفـاء وكذلـك مؤلفـات عـن الظـرف والظرفاء، الـذوق في العـصر العبـاسي والدلالـة اللغويـة للظـرف والظرفـاء وكذلـك مؤلفـات عـن الظـرف والظرفـاء، وخصائـص الظرفـاء وعلاقتهـم بالـذوق في العـصر العبـاسي ، وسـيرة المتظرفـات ،سـيدات الـذوق الرفيـع في العـصر العبـاسي ، الخاتمـة والمصـادر والمراجـع.

الكلمات المفتاحية : الذوق ، العباسي ، الجمال ، الاسلام ، العربي .

Islamic Arab taste during the Abbasid era

teacher Venus mathm Ali

Abstract :

The taste is beautiful word muwHiyatUU her helped endurance in folds the kindness, and good decagonal, and as money of the discipline, and the behavior felt, and avoiding what the embarrassment and wound of the feelings in pronunciation prevents from, or sign or towards that Where the succession witnessed aale'baas t across her stages aaltaar t numerous developments adequate mjaalaatmxtlft, and leads favored that on behavior and tastes of the people, and in next so to that development is union 'aSnaafmn the society Al-Abbasi

The searching to study aims the taste in the era Al-Abbasi and mastery of the light on layer of blessing the gathered taste materialized in wonderful me'aanyt and radiant image for the Arabic taste presented who was for him the pioneering at that where was aarwyaa intense living in chaos in Al-Hayat general .wqd inclusion of the searching the taste is language then the taste is convention and for wandering from the taste Islamic then the taste in the era linguistic Al-Abbasi and the evidence for the circumstance and charming and as your lowness authors about the circumstance and charming, the taste in the era Al-Abbasi and the evidence

The linguist for the circumstance and charming and likewise authors about the circumstance and charming, and charming characteristics and their relationship in the connoisseur in the era Al-Abbasi, and biography aalmtDHrfaat, high ladies of the taste in the era Al-Abbasi The end and the sources waalmraaje'.wmn the produced

المقدمة

الذوقُ كلمةٌ جميلة مُوْحِيَةٌ تَحْمِلُ في طياتها معاني اللطفِ، وحُسْنِ المعشر، وكمالِ التهذيبِ، وحسنِ التصرفِ، وتجنبِ ما يمنع من الإحراج وجرح الإحساسات بلفظ، أو إشارة أو نحو ذلك.

فهذه المعاني وما جرى مجراها تُفَسِّرُ لنا كلمة الذوقِ، وإن لم تفسرها المعاجمُ بهذا التفسير الملائم لما تعارف عليه الناس، وجرى بينهم مجرى العرف؛ فتراهم إذا أرادوا الثناء على شخص بما يحمله من المعاني السابقة قالوا: فلان عنده ذوق، أو هو صاحب ذوق.

وإذا أرادوا ذمَّه قالوا: فلان قليل الذوق، أو ليس عنده ذوق، وهكذا فالذوق بهذا الاعتبار داخلٌ في المعنويات أكثر من دخوله في الحسِّيات كذوق الطعام والشراب. وموطن الذوق في المعنويات يدور حول العقل، والروح، والقلب .

حيث شهدت الخلافة العباسية عبر مراحلها التاريخية تطورات متعددة وفي مجالات مختلفة، وقد أثر ذلك على سلوك وأذواق الناس، وبالتالي فأن ذلك التطور شمل أصناف من المجتمع العباسي.

وبرزت فئة من الناس لهم تقاليدهم الخاصة، والمعبزة عن الرقيّ الاجتماعي،وهم الظرفاء، وأصبحوا يمثلون ظاهرة اجتماعية لا يمكن التغافل عنها في العصر العباسي المتأخر، ولا بد من الوقوف على هذه الظاهرة وتقييمها تاريخياً، والحقيقة السلوك المهذب للمجتمعات المتمدنة في يومنا الحاضر، ما هي إلا امتداد تاريخي لسلوك هؤلاء الظرفاء، والقاسم المشترك بينهما هو الرقي في الذوق الإنساني المتمدن.

يهدف البحث الى دراسة الذوق في العصر العباسي وتسليط الضوء على طبقة من المجتمع جسدت الذوق في أروع معانية وقدمت صورة مشرقة للذوق العربي الذي كان له الريادة في ذلك حيث كانت اروبا تعيش في فوضى عارمة في الحياة العامة. وقد تضمن البحث الذوق لغة واصطلاحاً ولطائف من الذوق الإسلامي ثم الذوق في العصر العباسي والدلالة اللغوية للظرف والظرفاء وكذلك مؤلفات عن الظرف والظرفاء ، وخصائص الظرفاء وعلاقتهم بالذوق في العصر العباسي، وسيرة المتظرفات، سيدات الذوق الرفيع في العصر العباسي ومن ثمة خاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع.

الذوق لغةً

لقد وردت كلمة الذوق في معاجم اللغة على انها الحاسة التي تميز بها ا الخواص الطعمية للمواد بواسطة الفم،جاء في لسان العرب : «الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا وذواقا ومذاقا فالذواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما كما تقول: ذواقه ومذاقه طيب،والمذاق طعم الشيء، والذواق : هو المأكول والمشروب، الذوق يقع على الاسم والمصدر،ما ذقت ذواقا ؛ أي شيئا،... ومن المجاز ان يستعمل الذوق فيما يتعلق بالأجسام من المعاني كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[1] وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] ويقال ما ذقت ذواقا؛ أي شيئا وهو ما يتعلق بالطعام[3].

وتقول ذقت فلانا وذقت ماعنده؛ أي خبرته والذوق يك ون في ما يكره و يحمد .

(1) سورة الدخان ، الاية 49 .
(2) سورة التغابن الاية 5 .
(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711 هـ/ 1311 م)، لسان العرب،(قم – إيران 1405 هـ) مادة ذوق، ج 3، ص: 535-536 ..

وفي المعجم الوسيط: «ذاق الطعام ذوقا وذواقا ومذاقا:اختبر طعمه، ويقال: ما ذقت نوما، أذاق فلان كذا: جعله يذوقه، ويقال أذاقه الله الخوف وغيره: أنزله به، وتذوق الطعام ذاقه مرة بعد مرة، ويقال تذوق طعم فراقه، ودعني أذوق طعم فراقه»[1].

مما سبق نجد أن لفظ الذوق يراد به المعنى المعجمي كحاسة لتذوق طعوم المواد المختلفة، ويراد بها أيضا المعنى الاصطلاحي، وهو إدراك المواقف الحياتية المختلفة بما تحتويه من معان وأفكار وأحاسيس، أما الذين حاولوا قصر معناه على ما يكون بالفم فقط فهذا تضييق منهم، قال ابن تيمية: (فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه ولذّته، فدعوى المدعي اختصاص لفظ (الذوق بما يكون بالفم تحكّمٌ منه) »[2].

الذوق اصطلاحاً

ومن المعنى اللغوي لمعنى التذوق استعيرت الكلمة من تذوق الطعام إلى تذوق الجمال، وكثيرا ما يطلق ويراد به التذوق الفني أي: تربية المشاعر من خلال الفنون، أو تلك القوة الداخلية والتي بها نستطيع تقدير الآثار الفنية ولكن الذوق الذي نريده هو تلك الهبة الطبيعية الكامنة في نفوسنا والتي تدفعنا إلى تذوق الجمال بمعناه العام، الذوق: (هو ذاك الاستعداد الفطري المكتسب الذي نقدربه على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا)[3] فهو إذن أوسع وأشمل نطاقا من أن يحصر في الفن،وبهذه النظرة : (نستطيع أن نصل بكلمة الذوق إلى معنى أشمل وأوسع نطاقا عندما نتصور الذوق على أنه ليس فقط الاستجابة الجمالية للعمل الفني أو للعلاقات الجمالية الموجودة في الطبيعة، ولكن على أن يتعدى ذلك لتشمل هذه الاستجابة الجمالية كل نواحي الحياة وكل ما تمر به في حياتنا من خبرات ومواقف، وعندما يصبح الجمال سلوكا عاما، وسمة غالبة تصبغ كل تصرفاتنا بصبغتها)[4] فالتصوير الفني الذي هو أحد أهم مجالات الجمال القرآني (لا يجدي في تذوقه إلا الذوق، وطول الممارسة الأدبية، والعناية بإبراز خصائصه الجمالية، بالنظر العميق، والشعور الرقيق)[5] وبوصولنا إلى تحقيق الذوق نكون قد أوجدنا أشخاصا يملكون قدرا من الاحساس في كل تصرفاتهم وسلوكهم، يدركون من خلالها الجمال وينشرونه ويدعون إليه، فتتحول حياتنا إلى تذوق ومتعة، فنحن نمارس الذوق في كل شؤوننا، والسلوك الجمالي الذي يتسم بالذوق هو في النهاية صفة من صفات الإنسان المسلم الذي يكون جديرا بأمانة الاستخلاف، ومن هذا التصور الشامل لمعنى الذوق الجمالي نصل إلى بناء مجتمع يستجيب للجمال ويحس به ويدركه في شتى صوره.

الذوق هو الحاسَّة المعنوية الشفَّافة التي تدعو صاحبَهَا إلى مراعاة مشاعر الآخرين، وأحوالهم، وظروفهم، وهو أدبيَّات التعامل مع الناس، وهو

(1) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4 (بيروت ، 1425 هـ/ 2004 م) ج5، ص، 318 .

(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت، 728 هـ/ 1327م) مجموعة الفتاوى، تحقيق:أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3 (القاهرة، 1426 هـ/ 2005م)، ج7، ص11 .

(3) الخالدي، صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار المنارة ،ط2 (السعودية ، 1409 هـ/ 1989 م)، ص77 .

(4) يونس عيد سعيد ،التصوير الجمالي في القرآن الكريم،عالم الكتب، ط1 (بيروت ،1427 هـ/ 2006 م)، ص81 .

(5) عامر فتحي، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف ط1، (الإسكندرية، ،1976م)، ص 19 .

الفنُّ الجميل في العَلاقة مع الآخرين.

والذوق أيضًا ظاهري ومعنوي، وهنا نعدِّد بعض مظاهر الذوق الذي جاء به الإسلام، وأوصى به النبي ، وكان هو فيه القدوة والمثل.

هو ملكة عند الإنسان تنبني على أصل في الفطرة البشرية، أي ميزان داخلي نزن به الأمور المادية كتذوق الطعام ومعنوية كتذوق السلوك والجمال والإحساس به، ومعنى السليم أي الصحيح والجيد. ويقصد به جمال التعامل وجمال التصرف ، وجمال الموقف، وجمال الخطاب ، وجمال السلوك ، وجمال العمل، وجمال النظام.

هناك نماذج من الجمال موجودة وعديدة بلا ادنى شك رغم الإتفاق العام على هذا الرأى تتدخل عادات كل شعب من الشعوب وتكون ذوقاً خاصاً ولكن اوروبا اعتادت على رؤية مؤلفات جيرانها بنظرة متعالية ... نشأعنة هذا التبادل شئ نسمية الذوق العام الذي نبحث عنة بلا جدوى .. هكذا شخص فولتير الحالة المزاجية وعادات الشعوب وأثرها في تكوين المزاج الخاص بكل امة وكيف يلعب التكوين النفسي دورا هاما في تكوين ذوقها الخاص...

الذوق في الإسلام

دلت أحكامه (الإسلام) على أنواع عديدة من الذوق فمن ذوق الطعام حديث «يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» [1] ومن ذوق المقابلات والمحادثات حديث «تَبَسُّمُك فِي وَجْهِ أَخِيك صَدَقَةٌ» [2] وآية: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾[3] ومن ذوق العلاقات الزوجية كافة الأحاديث التي توجه بحسن معاملة الزوجة والإحسان إليها ومنها حديث «رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ» [4] .

وللذوق أنواع كثيرة حض عليها رسول الله وكان لنا فيها قدوة، منها جمال الذوق في طريقة المشي والصوت لطائف الذوق في الإسلام عباد الرحمن الذوق[5]. هو الحاسَّة المعنوية الشفَّافة التي تدعو صاحبَهَا إلى مراعاة مشاعر الآخرين، وأحوالهم، وظروفهم، وهو أدبيَّات التعامل مع الناس، وهو الفنُّ الجميل في العَلاقة مع الآخرين. والذوق أيضًا ظاهري ومعنوي، وهنا نعدِّد بعض مظاهر الذوق الذي جاء به الإسلام، وأوصى به النبيﷺ، وكان هو فيه القدوة والمثل: فمن باب جمال الذوق في طريقة المشي والصوت:دلائل كثيرة من القران الكريم قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[6]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[7].

قال ابن كثير: في تفسيره لهذه الاية ، «وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمّه غاية الذم؛ لأن رسول اللهﷺ، قال: ((**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ**

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت،256هـ/ 869) صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة، بيروت (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ،محمد فؤاد عبد الباقي) ط1 ، 1422هـ، ج6 ،ص121 .

(2) البخاري ، صحيح البخاري ، ج6 ، ص125 .

(3) سورة الأحزاب الاية : 53 .

(4) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل(ت، 852هـ/ 1448م) ،فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ، (بيروت، 1379 هـ) ص610

(5) خالد عمرو: الصبر والذوق (أخلاق المؤمن)، دار المعرفة ،(بيروت ، بلا)ص87 وما بعدها .

(6) سورة الفرقان ، الاية : 63 .

(7) سورة لقمان ، الاية 18 و19 .

السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ))[1].

1. **الذوق في عدم إزعاج الآخرين**: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]. ونزلت هذه الآيات في أناسٍ من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قَدِموا وافدين على رسول الله ﷺ فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد يا محمد، (أي: اخرج إلينا)، فذمَّهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أنَّ من العقل وعلامته استعمال الأدب[3].

2. **الذوق في الشارع والطريق**: روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**. فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدَّث فيها. فقال: **إِذْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**. قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: **غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**))[4].

3. **الذوق في الضيافة والاستئذان**: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5].

وقال الرسول ﷺ: ((**الِاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ؛ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلاَّ فَارْجِعْ**))[6].

4. **الذوق في التعامل مع الزوجة**: فعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: ((**وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**))[7]. وروت السيدة عائشة قالت: «كنت أشربُ وأنا حائضٌ ثم أناوله النبيَّ ﷺ فيضع فاه على موضع فِيَّ فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِيَّ[8].

5. **الذوق في العطس**: فعن أبي هريرة قال: كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فِيه، وخفض بها صوته[9].

7. **الذوق في التعامل مع العاطس**: روى أنس بن مالك قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتْ الآخَرَ، فقال الرجل يا رسول الله شمت هذا ولم تشمتني، فَقَالَ: ((**هَذَا حَمِدَ اللهَ وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ**))[10].

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ/ 1372م) تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر؛ دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1(بيروت، 1419 هـ) ج 6، ص339.

(2) سورة الحجرات، الاية 4 .

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ت: 1376هـ/ 1956م) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ط1 (بيروت، 1420هـ/ 2000م) ص799.

(4) البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص153 .

(5) سورة النور، الاية 27 .

(6) البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص134 .

(7) البخاري، صحيح البخاري، ج8، ص88 .

(8) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ/ 874م) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي (بيروت، د.ت)ج، ص246

(9) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: 303هـ/ 915م) سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2،(حلب، 1406 هـ)ج1، ص282 .

(10) ابو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ/ 888م) سنن أبي داود، تحقيق؛ محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا (بيروت، بلا) ج1، ص5029

7. **الذوق في التثاؤب:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((**التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ**))[1].

8. **الذوق في الرائحة:** عن جابر بن عبد الله قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ -يُرِيدُ الثُّومَ- فَلاَ يَغْشَانَا فِي مَسَاجِدِنَا**))[2].

وفي رواية مسلم عن ابن عمر تصريح بأن هذا لأجل الرائحة؛ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهَا**))[3]. يعني الثوم.

9. **الذوق في المصافحة:** عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا صافح رجلاً لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليدِ رسول الله ﷺ [4] .

10. **العودة من السفر جمال الذوق في العودة من السفر:** فلا يدخل الرجل على زوجته إذا عاد من السفر فجأةً حتى لا يرى منها ما يكره؛ فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلاً، وَلا تَغْتَرُّوهُنَّ**))[5] .

11. **الذوق في الجلوس:** «نهى الاسلام أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما[6]. وهذه بعض مظاهر الذوق التي جاء بها الإسلام، عميقة ودقيقة، وتحفل بتفاصيل قد لا ينتبه لها واضع فلسفة أو تشريع أو قانون على الإطلاق، ولكن هذا هو فرق ما بين الله وبين البشر، فكان هو الفرق بين الإسلام وغيره من المناهج والفلسفات، ثم كان الفرق بين حضارتنا وغيرها من الحضارات.

(1) ابو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج1 ، ص5029 .
(2) البخاري ، صحيح البخاري، ج7 ، ص28 .
(3) مسلم، صحيح مسلم ،ج1 ،ص393
(4) الترمذي ،محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت: 279هـ/ 892مـ) سنن الترمذي تحقيق وتعليق ،أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط2، (مصر 1395 هـ / 1975 م)ج1 ،ص349 .
(5) الدارمي، أبو محمد عبد الله (ت: 255هـ/ 868م) مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع، ط1 (المملكة العربية السعودية ، 1412 هـ / 2000 م) :ج4 ،ص150 .
(6) ابو داود، سنن أبي داود، ج4 ، ص265 .

الذوق في العصر العباسي

ظهرت في العصر العباسي حقبة ذهبية ، ظهر الترف فيها خلالها بين الناس فافتنوا في الحياة، والمعاش، واللذة واللهو والتفكير وقد طغى الترف فيها على كل شيء حتى ليصح ان تسمى حقبة الترف بدات بخلافة المهدي (158هـ) وانتهت في اواخر القرن الرابع الهجري ، فزهت بغداد دار الملك بالنعيم ، وكانت مركز الذوق الرهيف والفكر الرشيق واللهو الحلو، والطبع الرقيق والغنى الواسع والحب الناعم والظرف الجميل. فقد رفت الحضارة وازدهر الترف ويسرت الحياة فزهى الخلفاء والامراء والوزراء والظرفاء من الندماء والشعراء، فليس من الغريب ان تولد هذه الحياة المترفة وتلك الدنيا التي حفلت بالجواهر والياقوت والذهب والفضة واللذة والشعر قوما لهم عاداتهم وطباعهم ولهوهم وذوقهم المتميز اسمهم الظرفاء والمتظرفات وهم اصحاب ذوق رفيع واحساس مرهف متميز عن بقية الطبقات الأخرى في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي. لقد كان هؤلاء ابناء تلك البيئة النادرة التي أنشأتها أجناس وثقافات وثروات .

قد انتشر الظرف أول ما انتشر ،كمذهب في الحياة العامة واتبعه نفر من الناس منذ تولي الخليفة المهدي الخلافة (158ه) فقد اتسعت أموال الخراج والجبايات وحملت من الأقطار والكور إلى بغداد، ففاضت الثروة وترف المترفون وانطلق الفرس

في العراق ينشرون ماعتادوا عليه من عادات وما توارثوه عن أمتهم من سنين في الحياة ينقلون الى العربية كتبهم وسير ملوكهم فقد نقل ابن المقفع كتاب (خداينامة) في سيرة الملوك[1] وضعف سلطان الدين في قصور الخلافة ، فاعرض المهدي عما كان يفعله السفاح من التزمت والوقار[2] ويرتبط الظرف بالذوق بأجمل معانيه واروع صوره على ان الأمر لم يقف على اكتساب الظرف بل تجاوزه الى انتحال الذوق السليم والعقل والادب عن طريق الظرف أيضا ، يقول الثعالبي (فربما سمع احدهم ممن لامعرفة عنده ولا تحميل له أن الزنادقة ظرفاء وانهم عقلاء وان لهم بصائر في دينهم والبذل لمهجهم ويتميزون بعلمهم)[3] ومن الملاحظ انه لا ينعت الفقراء بالظرف وانما اقتصر على اؤلئك الذين ذاقوا النعيم في قصور الخلفاء والوزراء، ومازال الظرف ينمو ويتكامل حتى اصبحت له قواعد ونظم وبلغ ذروة الكمال له في القرن الرابع الهجري ، حيث تدرج من البساطة الى التكلف ومن الاناقة الى التانق ومن الظارفة الى التظرف وشاعت الزينة في كل شيء والف الوشاء كتابه الوليس يُستحسن لُبسُ الثياب الشنعة الألوان، المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل المُلحَم الأصفر، والدَّبيقي المعَنبَر، لأن ذلك من لُبس النساء، ولبس القَينات والإماء، وقد يلبسون في الفَصد، والعِلاجات، ووقت الشراب، والخَلَوات، الغلائل الممسَّكة، والقُمُص المُعنبرة، والأردية الملونة، والأُزُر المعصْفَرة، وربما استعملوها لفرشهم، لبسوها في وقت قصفهم، وتظرّفوا بها في مجالسهم، وتخفّفوا بها في منازلهم، والظهور فيها قبيحٌ بالسُّوقة والظرفاء، موشى فضمنه بعض احاديث الظراف ووصفهم في قصورهم[4].

الدلالة اللغوية للظرف والظرفاء

الظرف لغةً: أشار اللغويون إلى مصطلح ظروف، قيل: كأنه جمع ظرف. وتظرف فلان أي تكلف الظرف ، وامرأة ظريفة من نسوة ظرائف وظراف .

قال سيبويه: وافق مذكره في التكسير يعني في ظراف، وحكى اللحياني اظرف إن كنت ظارفا، وقالوا في الحال: إنه لظريف. الأصمعي وابن الأعرابي: الظريف البليغ الجيد الكلام، وقالا: الظرف في اللسان، واحتجا بقول عمر في الحديث: إذا كان اللص ظريفا لم يقطع، معناه إذا كان بليغا جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد، وقال غيرهما: الظريف الحسن الوجه واللسان، يقال: لسان ظريف ووجه ظريف، وأجاز: ما أظرف زيد، في الاستفهام: ألسانه أظرف أم وجهه؟والظرف في اللسان البلاغة، وفي الوجه الحسن، وفي القلب الذكاء. ابن الأعرابي: الظرف في اللسان، والحلاوة في العينين، والملاحة في الفم،

(1) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب إسحق (ت: 385 هـ/ 995 م)، الفهرست تحقيق ؛ عبده محمد، دار المعرفة،. (بيروت، د .ت) ، ص118

(2) ا الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ/ 868م) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، ط1(القاهرة ، 1332هـ / 1914م)،ص53 .

(3) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت: 429هـ/ 1037م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الناشر: دار المعارف (القاهرة ، د.ت) ، ص139 .

(4) الوشاء ، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت: 325 هـ/ 936 م)، الموشى والظرف والظرفاء،. تحقيق كمال مصطفى، دار صادر(بيروت، 1965)، ج1، ص 66 .

والجمال في الأنف. وقال محمد بن يزيد: الظريف مشتق من الظرف، وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق. ويقال:فلان يتظرف وليس بظريف. والظرف: الكياسة. وقد ظرف الرجل، بالضم، ظرافة، فهو ظريف. وفي حديث معاوية قال: كيف ابن زياد؟ قالوا: ظريف على أنه يلحن، قال: أو ليس ذلك أظرف له؟ وفي حديث ابن سيرين: الكلام أكثر من أن يكذب ظريف أي أن الظريف لا تضيق عليه معاني الكلام، فهو يكني ويعرض ولا يكذب. [1]

ولا يكون الظريف ظريفا حتى تجتمع فيه اربع خصال : الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة[2] وقد ذكروا ان الظريف هو من كان الى ذلك ، حسن الوجه الجميل الهيئة متأدباً قد اخذ من العلوم فصار وعاء لها ، الرقيق الطبع الصادق اللهجة، كاتما للسر[3] والظريف الذي تأدب- وأخذ كل العلوم، فصار وعاءً لها[4].

فاذا جمعنا هذه العناصر التي ذكرتها كتب الظرفاء ، علمنا ان الظريف هو الفصيح البليغ الحسن الوجه الجميل الهيئة.الرقيق الطبع ، الصادق اللهجة ،النزيه العفيف ، ذو الخلق السمح الكريم، وقد جمعها ابن الجوزي ، حين عرف الظرف في كتابه ((الظراف والمتماجنون)) واضاف اليها عنصرا اخر هو حلاوة النكتة [5].

والظريف كلمة تطلق على الرجل الذي تنطبق عليه مواصفات الظرف، وجمعها ظرفاء أو ظروف للرجال، وظراف وظرائف للنساء[6].

ومن مظاهر التظرف «صباحة الوجه، ورشاقة القد، ونظافة الجسم والثوب وبلاغة اللسان، وعذوبة المنطق، وطيب الرائحة، والتقذذ من الأقذار والأفعال المستهجنة ويكون في خفة الحركة وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح[7].

مؤلفات عن الظرف والظرفاء

واهتمت كتب التراث العربي الإسلامي في أبراز فعاليات وأنشطة الظرفاء في مؤلفات متعددة، ذكر منها ابن النديم في فهرسته ومنها:

كتاب كتاب المتظرفات والمتظرفين لابن أبي طاهر[8] وكتاب المتظرفين والمتظرفات لابن عبيد الله[9] وكتاب نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء الملك الرسولي رسول الغساني"(ت 778هـ/ 1376م) العباس بن علي بن داود[10] وكتاب اخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي (ت، 597هـ/ 1200م[11] ابن عرب شاه" (ت، 854هـ/ 1440م) فاكهة الخلفاء في مفاكهة الظرفاء،لطائف الظرفاء من

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج 9 ، ص 229 .
(2) الوشاء ، الموشى ، ص 41 .
(3) الوشاء ، الموشى ، ص 41 .
(4) الوشاء ، الموشى ، ص 66 .
(5) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ/ 1200م) .
أخبار الظراف والمتماجنين، شرح عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، (بيروت 1990)، ص 3 .

(6) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370 هـ/ 981 م) ، تهذيب اللغة؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار العربية للتأليف، (القاهرة، 1964)، ج 14 ، ص 3.
(7) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة؛ ج1، ص54 .
(8) ابن النديم، الفهرست ، ص 146 .
(9) ابن النديم، الفهرست، ص 147 .
(10) ابن النديم، الفهرست ، ص 120 .
(11) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 681هـ/ 1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق؛ إحسان عباس : دار صادر (بيروت، 1994م) ح2، ص181 .

طبقات الفضلاء للثعالبي،وحماسة الظرفاء من أشعار المُحدثين والقدماء للزوزني، نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء لبدر الدين الدمياطي(ت، 827هـ/ 1424م)،

كما ذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد أخباراً لتمجيد ظرفاء أهل بغداد[1] ومن أهم كتب التراث الخالد في أخبار الآداب المتعلقة بالظرفاء وبصورة تفصيلية هو كتاب الموشّى لابن الوشّاءالموشى أو (الظرف والظرفاء) كتاب مقسم إلى ابواب في جزأين كلها في حدود الأدب، وشرائع المروءة، وسنن الظرف، وأزياء الظرفاء، والسواك واستعماله، وأخبار العشاق، وما يكتب من الشعر على العصائب والزنانير، والستور، والكلل والأسرة، والقباب، والنعال، والخفاف، وما ينقش على الخواتم «من أهل الهوى وأهل الحزم[2] ويتخلل ذلك مواعظ، وحثّ على المصادقة والإخلاص والتعفف، فهو كتاب فريد في أسلوبه ودقة وصفه، وتصويره لحياة الظرفاء، وضع فيه صاحبه، على حد قوله، «كل ما يستحسنه الظرفاء، ويميل إليه الأدباء»، فكأنما هو مجموعة أنظمة لعصبة مخصوصة من الظرفاء والظريفات يبدو منها كيف كانت عندهم حدود الأدب، وشرائع المروءة وسنن الظرف. [3]

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني جاء كتاب الراغب الأصفهاني «محاضرات الأدباءعلى نهج السابقين من المؤلفين من حيث التبويب والتقسيم، فقد ضمن المؤلف كتابه طُرفًا وقصصًا فكهة ضاحكة، فهو يقول عن كتابه: «إنه ظرف مليء ظرفًا ووعاء حشي جد وسخفًا من شاء وجد منه ناسكًا يعظه ويبكيه، ومن شاء صادف منه فاتكًا يضحكه ويلهيه[4].

خصائص الظرفاء وعلاقتهم بالذوق في العصر العباسي

تميز الظرفاء بخصائص عامة يبرز من خلالها الذوق والتطور الذوقي الجميل المرهف الذي كان نتيجة التطورات الحضارية في العصر العباسي، يمكن ان تصف للظرفاء «لمن تكامل ظهور بزته وظهور طيب رائحته، ونقاء درنه، ونظافة بدنه، ولا تسخ له ثوب، ولايدرن له جيب، ولا ينفتق له ذيل، ولا في سراويله ثقب، ولا يطول له ظفر، ولا يكثر له شعر[5] وللظرفاء أريحية وقبول لدى فئات المجتمع العباسي لما يتصفون به من مظاهر سلوكية وأخلاقية عند أغلبهم، فالظريف «بسيط الكف، رحب الصدر، سهل الخلق كريم الطباع، بحر زخور ، ضحوك السن، بشير الوجه، بادي القبول، غير عبوس، يستقبلك[6] بطلاقة، ويحييك ببشر، تبهجك طلاقته، ويرضيك بشرهُ، ضحاك على مائدته، عبد لضيفانه[7].

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ/ 1071 م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت)، ج 1، ص 50 – 54 .
(2) الوشاء، الموشى ، ج1، ص5
(3) الوشاء، الموشى ، ج1، ص5 .

(4) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ/ 1108م) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، (بيروت، 1420 هـ) ج1، ص2 .
(5) الوشاء، الموشى، ص 223 .
(6) عبد الكريم عز الدين صادق، الحياة الاجتماعية لظرفاء بغداد في العصر العباسي المتأخر، مجلة الهدى كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، العدد السادس ، كانون الثاني ، 2016 ،ص629-646 .
(7) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: 453 هـ/ 1061 م) ، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح د. زكي مبارك، ط 4، دار الجيل، (بيروت، د.ت) ، ج 1، ص 6

أن تلك الصفات العامة الجيدة، هي التي جلبت أنظار الناس إليهم، فالظريف «مطبوع بشهد له القلب، عند معاينته بحلاوته، وتسكن النفس عند لقائه إلى مجالسته، وتصبو إلى محادثته وترتاح إلى مشاهدته، وهو بيّن في شمائله، ظاهر في خلائقه، بين في منطقه، غير مستتر عند صمته، دلائله واضحة في مشيته وزيّه ولفظه، ومن زيهم النظافة، والملاحة، واللطافة، وأطهار البزه، وطيب الرائحة، فالنفوس إليهم تائقة، والأرواح عاشقة»[1].

ومما لا شك فيه أن التطور الحضاري الذي شهدته بغداد حاضرة الخلافة العباسية، قد لعب الدور الأساس في تطوير سلوكيات وأذواق المجتمع، حتى أصبح البغداديون رمزاً من ر موز التألق الإنساني الرفيع، ويبدو ان ثقافة الظرف قد أثرت فيهم مما جعلوا أكثر مروءة وخلقاً وتهذيباً عن بقية أفراد المجتمع، ولذلك قال أحدهم : « من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد. فقيل له : وكيف ذاك؟ فقال : لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً، فمر بي رجل متزر بمنديل مصري، معتم بمنديل ديبقي، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط. فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: لا، هذا ساقي العامة. فأومأت إليه: أسقني فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك، فقلت لمن معي: أدفع له دیناراً فأعطاه الدينار فأبى. وقال : ليس آخذ شيئاً . فقلت له: ولم؟ فقال : أنت أسير ، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً . فقلت كمل الظرف في هذا [2].

وللظرفاء خصائص جميلة ومتعددة تمنحهم ميزة عن باقي افراد المجتمع في العصر العباسي وهي:

1 . السلوك الحضاري وسموالأخلاق

يتميز الظرفاء بسلوكهم المهذب والذي يمثل ثقافتهم في الظرف، وانعكس ذلك على الكثير من نشاطاتهم اليومية، فعندهم « عدم جلوس الأخفاء ولا السرعة في المشي ولا الألتفات إلى طريق قصدوه ولا الرجوع عن طريق سلكوه ولا ينفضون الغبار عن أرجلهم في المواضع المكنوسة، ولا يستريحون في الأماكن المرشوشة»[3] .

ومن الظرف أن تجاري احترام ومشاعر الآخرين حتى في طريقة الجلوس « فإذا أتاه إنسان وسع له فأن لم يجد موضعاً تحرك ليريه أن يوسع له[4] ولهم رسوم خاصة حتى في أسلوب اللقاء مع الآخرين، ومنها أن من يدخل فعليه " بتخفيف السلم، وتقليل الكلام، وتعجيل القيام[5].

وقد أشار الدمياطي إلى ستة خصال للظرفاء لهم سماها التحفة السادسة وهي[6].

أ. في مطلق مكارم الاخلاق والسيرة الحسنة والعفو وما يناسبها.

ب. في الحلم والرفق وما يتعلق بهما.

ت. في التواضع والنهي عن التكبر وذم اهله

(1) الوشاء، الموشى، ص 73 – 74 .

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج 1، ص 50؛ عبد الكريم عز الدين صادق، الحياة الاجتماعية لظرفاء بغداد ، ص629-646 .

(3) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: 429 هـ/ 1037 م)، المؤنس الوحيد، . دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت)، ص 193 .

(4) الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : 276 هـ/ 889 م) ، عيون الأخبار، دار الكتب)العلمية،(بيروت، د.ت)، ج 1، ص 424 .

(5) الثعالبي، لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء؛ تحقيق عدنان كريم الرجب، ط 1، الدار العربية) للموسوعات، (بيروت، 1999)، ص106

(6) بدر الدين ، نزهة الادباء وتحفة الظرفاء ، تحقيق، محمد أبو شهدة وعبد الستار الغنيمي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2011) ص87 .

وعزة النفس وعدم تحمل الذل وما يناسبها.

ث. في ان الاعتبار بسيرة المرء لا بصورته ولا بكبر سنه ولا بالنسب المحض.

جـ. في العزلة عن الناس وعدم الاختلاط بهم.

حـ. في مصاحبة الكرام ومجانبة اللئام والحذر من غير ابناء الجنس.

والاعتدال في الحياة هي إحدى خصائصهم، ذلك الاعتدال الذي يتخذ من الوسطية في التعامل اليومي منهجاً وسلوكاً فنراهم يكرهوا المزاح المفرط وينهون عنه، لأن ذلك سقوط للمروءة التي تؤدي إلى مالا يحمد عقباه[1].

وأهتم الظرفاء بالأمور الصغيرة والدقيقة في حياتهم اليومية والتي يتغافل الآخرون عنها على الرغم من أهمية تلك الملاحظات، ومنها بأنهم «لا يتثائبون، ولا يتجشؤون، ولايتمطون، ولا يتبصقون[2].

ان اعماد الظرف عند الظرفاء هو حفظ الجوار وتجتمع فيه اربع خصال الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة ، ويردف الوشاء بانه سأل بعض الظرفاء عن الظرف فقال التودد الى الاخوان وكف الاذى عن الجيران[3] ويقال فلان ظريف أي هو بليغ جيد المنطق وقال بن سيرين ان الظرف مشتق من الفطنة وقال غيره الظرف حسن الوجه والهيئة والظريف الذي قد تادب واخذ من كل العلوم فصار وعاء لها فهو ظرف[4] .

2. التأنق والزينة

اعتنى الظرفاء في العصر العباسي المتأخر بالترويج لقيم الجمال والتأنق في حياتهم اليومية، واعتبروه مطلباً حضارياً وإنسانياً، وقد عُرف عن الرجل الذي يهتم بهذه القيم بأنه يستخدم « العطر والصبغ ، والخضاب، والكحل، والنتف، والقص، والحلق، وتجويد الثياب وتنظيفها[5].

وذهب الأمر بهم بأن ينصحوا الآخرين للاهتمام بأناقتهم ونظافتهم وعدم إهمال مظهرهم الخارجي، وهذا أحدهم ينصح آخر قائلاً له : « لتكن أظفارك مقلومة وطرف كمك نظيف[6].

وشارك بعض الظرفاء الأغنياء في رسوم مجالسهم مع مجالس الخلفاء في التأنق

والترف من خلال استخدام المراوح، ليزيد في ذلك ظرفاً وحسناً، وليكون بياناً عن المقدرة المالية والاجتماعية[7] .

3. عشق الورد

ومن المعروف أن الإنسانية عبر مراحلها التاريخية، اتفقت على أن للورد أهمية خاصة لأنه من الأشياء الجميلة والممتعة في حياتنا اليومية لما في منظرها وروائحها مما تبهج النفس الإنسانية، وقد لا يختلف اثنان في ذلك، إلا أن هذه الورود الجميلة لم تعط من الأهمية مثلما أعطى لها الظرفاء، واعتبروه رمزاً لأمور كثيرة، ولذلك أكثروا «في تفضيل الورد، وقد أطنبوا فيه، وأفرطوا في نعت حسنه، واشتهوا رائحته حتى شبهوه بالوجنات الحمر، ومثلوه بالأشياء الملاح، كفعلهم بالتفاح، وهما عندهم في مرتبة واحدة[8]. ويبدو أن هذا

(1) القيرواني، زهر الآداب ، ج 1 ن ص 521 .
(2) الوشاء، الموشى، ص 219 .
(3) الوشاء، الموشى، ص 43 .
(4) الوشاء، الموشى، ص 43 .

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255 هـ/ 868م) ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 1، مكتبة الخانجي، (مصر، 1979)، ج 3، ص 142 .
(6) الثعالبي، لطائف الظرفاء، ص 93 .
(7) الجاحظ، الرسائل، ج 2، ص 155 .
(8) الوشاء، الموشى ، ص 204 .

الاهتمام بالورد قد انعكس على فئات مختلفة من المجتمع العباسي، مما حدا بأحدهم أن «يلبس في أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد[1].

ولاهتمام الظرفاء بالورد، مما دفع بأقلام الكتاب والشعراء أن يكتبوا في الورد ومحاسنه ويتغزلون به، فيوصف أحد الأدباء ذلك، بالقول : هو «در أبيض، وياقوت أحمر، على كراسي زبرجد أخضر، توسطه شذور من ذهب أصفر، له نفحات العطر»((2)

واعتبر الظرفاء أن الورد تعبير عن الخدود الحسان، ويبدو أن هذا الوصف ينطبق على الورد الأحمر، ولذلك يقول الشاعر في ذلك:

عشت حياتي بورد كأنه خدود

أضيفت بعضهن إلى بعض[3])

ويفضل بعض الظرفاء ورد على آخر، إلا أن أغلبيتهم يستحسنون ورد البنفسج، بين الظرفاء، ويقول الشاعر في ذلك:

أهدت إليه بنفسجاً يسليه

تنبيه أن بنفسها تفديه

وار تاح بعد صبابة وكآبة

ورجا لحسن الظن أن تدنيه[4])

وفضل بعضهم ورد النرجس على الورد الجوري، مما حدا بأحد الأدباء أن يرد على ذلك دفاعاً عن الورد الجوري:

أفضل الورد على النرجس

لا أجعل الا نجم كالشمس

ليس الذي يقعد في مجلسه

مثل الذي يمثل في المجلس[5].

وتطير الظرفاء من ورد الشقائق، وذلك لورود معنى (الشقا) في محتوى الكلمة مما تذهب بالنحس والشر، قال الشاعر:

لا تراني طوال دهري أهوى الشقائقا

أن يكن يشبه الخدود ، منتصف أسمه الشقا[6]

وكذلك تطيروا من ورد الياسمين، لورود كلمة (ياس) وهي قريبة من كلمة (اليأس)، وهذه الكلمة غير مرغوبة لديهم وهم الذين يتفنون في حياتهم اليومية للوصول إلى الرفاهية والترف .

4. **إما طيبهم فعجيب** ، كانوا يتعطرون بالمسك المقشر، المذوب بماء الورد ويستعملون العود المعنبر بماء القرنفل المخمر[7] والندي الذي يتعطر به الملوك والعنبر المحمول من البحرين ، والكافور الموضوع على الجمر ، المخلوط بعبير المسك ، وكانوا يتجنبون عطر النساء لان لهن طيبا خاصا بهن سننوه به بعد حين، كما كانوا يتجنبون طيب الصبيان ، ولا يستعملون من الطيب ماكانت رائحته شديد السطوع [8] .

واستخدموا العود الطري الرطب الهندي والمسك الصيني أما ماء الورد الجوري فأنهم يضعونه على مسام الشعر لتبقى رائحته الفواحة لوقت طويل[9] .

---

(1) الأبشيهي، شهاب الدين أحمد (ت: 850 هـ/ 1446 م)، المستطرف في كل في مستظرف، المطبعة). المحمودية التجارية، (مصر، د.ت)، ج 2، ص 428 .
(2) القيرواني، زهر الآداب، ج 1، ص 567 .
(3) الوشاء، الموشى، ص 206 .
(4) الوشاء، الموشى، ص 203 .
(5) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733 هـ/ 1332 م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة ، د. ت)، ج 11 ، ص 192 .
(6) القيرواني ، زهر الآداب، ج 1، ص 468 .
(7) الوشاء، الموشى ، ص 182 .
(8) الوشاء، الموشى ،ج2، ص126 .
(9) الأزدي، محمد بن أحمد أبي المطهر (ت : منتصف القرن الرابع الهجري) ، حكاية أبي القاسم) . البغدادي، مكتبة المثنى ، (بغداد، 1902) ، ص 36 .

وتجنب الظرفاء «الكافور لعلة برده فلا يستعملونه[1]، واجتنبوا « ماء الخلوق لأنه طيب النساء والغالية إذ هي من طيب الصبيان والأماء، ولا يستعملون شيئاً من الطيب الذفر مما يبدو له لون ويبقى له أثر[2] وهذه دلالات واضحة على رفعة الذوق العام لدى الظرفاء .

5. الاهتمام بالخواتيم

لقد كان الظرفاء يتختمون بالعقيق والفيرورج وهوضرب الياقوت كالابيض المشوب بزرقة كلون السماء[3] الذي يبلغ ثمن الفص منه مائتي دينار [4] وكالاحمر الذي يضيئ كالكهرباء، وكانوا يتجنبون خواتيم الذهب لانها من لبس النساء والصبيان والاماء[5] وعلى الرغم من هذا الاهتمام عند الظرفاء في لبس الخواتيم، والتفنن فيه. إلا أن البعض منهم يتطير من هدية الخاتم، وزعموا أنه يدعوا إلى القطيعة، وتهاداه آخرون وأقاموه مقام التذكرة والوديعة[6].

6. الاهتمام بالحناء

ولغرض الحفاظ على الجمال، فلقد استخدم الظرفاء الحناء ليعطي رونقاً وتألقاً للإنسان، ولم يستخدموه لطلاء شعر الرأس واللحية فقط، بل تفننوا فيه بكتابات شعرية وعاطفية على راحة اليد والأقدام[7]. و البعض منهم استخدم تلك الكتابات على الجبين والخد[8]. ان هذا الاهتمام بالحناء في العصور العباسية، مما دفع بالبعض في تطوير صناعته حتى وصل الحال إلى تكوين خلطة للمواد الخاصة بذلك ويخلط بالدهن ويطل به الشعر، فيسوده، واستخدموا هذا الخضاب وتأخر الشيب دهراً طويلا[9].

7. الاهتمام بالنظافة

ومن أجل الظهور أمام الناس بالمظهر الحضاري اللائق، فقلد اهتم الظرفاء بنظافة فلا يتسخ له ثوب ولا يدرن له جيب ولا ينفتق له كم ولايرى في سراويله ثقب ومن العيب ان يمشي الظريف بلا سراويل او يمشي محلول الازار[10].

8. الملبس الجميل الانيق

ان زي الظرفاء في ملبسهم كما يقول الوشاء: (وأحسن الزيِّ ما تَشاكل وانطبق، وتقارب واتفق)[11] وفي هذا ذوق وبراعة وفيه تمدن وحضارة بل فيه قانون للملابس والازياء لقد ادرك الظرفاء ان سر الاناقة في التطابق والاتفاق وان شئت فقل الانسجام فلا تنافر في الالوان ولا تباين في الاثواب، فاذا لبسوا اتخذوا من الاثواب الجدد، وليس يُجيز أهل الظرف والأدب لُبس شيء من الثياب الدَّتسة مع غسيل، ولا غسيلاً مع جديد، ولابد من اختيار الثياب نقية صافية غير مصبوغة بالزعفران ولا مغموسة بالطيب لئلا يشنع منظرها اويسطع طيبها

(1) الوشاء ، الموشى، ص182
(2) المصدر نفسه ، ص 183 .
(3) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت: 440هـ/ 1048م) الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد (الدكن بالهند، 1936) ص134 .
(4) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ/ 868م) التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق ، حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي ، ط3 ، القاهرة ، (مصر، 1414هـ / 1994م)، ص10 .
(5) الوشاء، الموشى، ج2، ص125 .
(6) الوشاء، الموشى، ص 188 .
(7) الوشاء، الموشى ، ص 275 – 277 .
(8) الوشاء، الموشى ، ص 278 .
(9) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت: 384 هـ/ 994 م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق؛ عبود الشالجي، (بيروت، 1973) ، ج 3، ص 36 .
(10) الوشاء ، الموشى، ص148 .
(11) الوشاء ، الموشى ، ص161 .

لان هذه الثياب صفر وتلك الطيبات من لبس القيان والاماء[1].

للملابس فوائد متعددة، ومنها أنها تعطي الرونق والتأنق للإنسان وتعكس الذوق الجميل ، ومن البديهي أن يكون ذلك من الضروريات عند الظرفاء، فعندهم «لا ينبغي للظريف أن يمشي بلا سراويل ولا يتزر بمنديل ولا يمشي محلول الأزرار[2].

واستخدموا بذلك الأقمشة المختلفة من جيد الكتان الناعمة الرقيقة الألوان مثل الديبقي والخامات والملحم الخزي والخراساني، والأردية المحشاة العدنية، وطيالسة الملحم النيسابروية، الجباب النيسابورية، والوشي والأكسية الفارسية والطيالسة الزرق[3].

ويبدو بأنهم من الرفعة الذوقية، فقد اهتموا بتنسيق ألوان هذه الملابس ذات الألوان الصارخة ويعتبرونها من شأن النساء والأماء، وكان أقصى ما يجوز أن يلبسه من الملون في خاصة بيته وفي أيام الأحتجام وفي حلقات الشراب. أما ارتداء الملابس الملونة في الشوارع فلم يكن اتخاذها يعتبر من شأن الظرفاء[4].

ولإضفاء الصفة الجمالية وبما يتناسب مع ثقافة الظرف، راحوا يكتبون أبيات الشعر الجميلة على ذيول أقمصتهم[5].

فهذه العناية باختيار اجود الملابس والاثواب وتلك الرغبة في انتقاء الزي منسجما:في الوانه توافق وفي اجزائه تطابق لما يثير الدهشة ويدفع الى الاعجاب ولئن ابتعدوا عن الصفرة في الاثواب وتطيبها امام الناس فقد اجازوا لانفسهم في الفصد والعلاجات ووقت الشراب والخلوات ، ليس الغلائل الممسكة والقمص المعنبرة والازر المعصفرة والاردية الملونة وربما استعملوها لفرشهم ولبسوها ساعات قصفهم وتخففوا بها في منازلهم اما الظهور بها فقبيح امام الناس[6].

9. التفنن في اختيار الخفاف والنعال

اما الخفاف والنعال، فكانوا يتخيرون منها النعال السود والمختمة وربما شركوا اسودها باحمر، واصفرها باسود وكانوا يعيبون لبس الخفاف الحمر[7]، اما الجوارب فكانت من الخز والقز المرعزي[8].

10. موائدهم من الطعام

يهتم الناس بالطعام باعتباره أحد المقومات الرئيسة لإدامة حياتهم، وتفننوا في تنويع الطعام ليكون أكثر مذاقاً ومتعة في الأكل، ألا أن الظرفاء وفي ذلك العصر ذهبو ا إلى إيجاد رسوم تقنن موائد الطعام في طريقة حضارية وعقلانية، وهذا بالطبع عائداً إلى فهمهم لفن العلاقات العامة وطريقة التعامل اليومي مع المفردات الحياتية.

ومنها اهتمامهم بآداب تناول الطعام، ومنها على المدعو لمأدبة الطعام الإسراع في تلبية الدعوة وعدم التثاقل لكي لا يكون سبباً في اشتداد جوع الداعي وجوع المدعوين[9].

(1) الوشاء ، الموشى ، ج1 ، ص161 .
(2) الوشاء ، الموشى ، ص 222 .
(3) الوشاء ، الموشى ، ص 178 .
(4) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط 4 . دار الكتاب العربي، (بيروت، 1967)، ج 2، ص 228 .
(5) الوشاء، الموشى، ص 252 .
(6) الوشاء، الموشى ، ص161 .
(7) الوشاء، الموشى،ص 180 .
(8) الوشاء، الموشى ، ص 125 .
(9) كشاجم، أبو الفتوح محمود بن الحسين (ت: 360 هـ/

وكذلك أن لا يبادر المدعو إلى دعوة الآخرين لمأدبة الطعام دون الأذن من صاحب الدعوة[1] وأن لا يبادر المدعو إلى إبداء رأيه في تنظيم مأدبة الطعام أو ملاحظاته على أثاث بيت الداعي لأن ذلك عندهم من الأمور المخلة بآداب دعوات الطعام[2] وعلى المدعو أن لا يعترض على موقع جلوسه إذا أجلسه الداعي في مكان أكرمه به[3] وأن لا يسأل المدعو من الداعي في بيته سوى اتجاه القبلة وموضع قضاء الحاجة[4].

ووصف أحد الظرفاء آداب مراسيم الطعام، قائلاً: أحق الناس بلطمة من إذادُعي إلى طعام ذهب بآخر معه، وأحقهم بلطمتين من إذا قيل له: أجلس ها هنا، قال : بل ها هنا وأحق الناس بثلاث لطمات من إذا قيل له: كل ، قال : ما بال صاحب البيت لا يأكل معنا[5] .

ويظهر لنا أن تلك الآراء تبين التنظيم الأخلاقي والحضاري، والهدف تعميق السلوك والذوق السليمين إلى عامة الناس وترشيدهم نحو الصواب. ويذهبون بالآراء المهذبة في طريقة تناول الطعام والتي تتناسب مع قيم التحضر، واذا قدموا الى طعام غسلوا ايديهم بالماء او الطيب وربما مسحوها بالادهان المعطرة لئلا يتمكن الزفر من مسامها[6]

فعندهم « أن أول ما استعملوه تصغير اللقم، والابتعاد عن الشره والنهم[7] ولا «يلطعون أصابعهم، ولا يملئون باللقم أفواههم، ولا يقطرون على أكفهم، ولا يعجلون في مضغهم، ولا يأكلون قدراً بائتاً، ولا قدراً مسخنة، ولا يغمسون في مرقة[8]» ولا يلطعون بالعظام[9] ولا ياكلون بجانب أشداقهم[10].

وكانوا يتبعون نظام الإطباق ، كل لون من طعام في صحفة خاصة يرفع طبق فيه ضرب من الطعام ويؤتى بطبق أخر ، فيه لون أخر، وربما لكل رجل صحفة خاصة به[11] .

وربما جعلوا لكل طعام ملعقة خاصة ، بل ذهب بعض المغرقين في التطرف إلى ماهو ابعد وأعجب ، فقد كانوا يتناولون كل لقمة بملعقة، لئلا يعيدوا الملعقة إلى فمهم بعد أن أخرجوها منه[12] وكانوا يتخذون ملاعقهم من الفضة ومن

970 م)، أدب الندماء ولطائف الظرفاء، مطبعة جرجي غرزوزي، (الإسكندرية، 1911)، ص 21 .

(1) الأبشيهي، المستطرف، ص 299 .

(2) الأبشيهي، المستطرف، ص 298 .

(3) الأبشيهي، المستطرف، ، ج 1، ص 297 .

(4) التوحيدي، أبو حيان علي بن العباس (ت: 414 هـ/ 1023 م) ، الأمتاع والمؤانسة، شرح أحمد أمين، مكتبة الحياة،(بيروت، د.ت)،ج 3 ، ص 3 .

(5) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ص 4 .

(6) الغزولي، علي بن عبد الله البهائي الدمشقي (ت: 815هـ/ 1412م)، مطالع البدور ومنازل السرور، مطبعة إدارة الوطن، (مصر، 1299 هـ)ج2، ص66

(7) الوشاء ، الموشى ، ص 191 .

(8) الوشاء ، الموشى ، ص 192 .

(9) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت : 597 هـ/ 1200 م) ، العقد الفريد، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، ط 3، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، ج1 ص 457 .

(10) المصدر نفسه، ج1ص 192 .

(11) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت:429هـ/ 1037م) يتمه الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق؛ مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (بيروت/ لبنان 1403هـ1983م)،ج2، ص130.

(12) ياقوت، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت، 626هـ/ 1228م) معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، ط1، (بيروت ، 1414 هـ / 1993 م)، ج5، ص153 .

الذهب[1] وقد يجعلوها من الزبرجد[2] او من الزجاج[3] ومن تقاليدهم الأخرى في الطعام بأنهم « لا يدخلون وكان هراس، ولا يجتازون بدكان مراق، ولا يأكلون شيئاً مما يتخذ في الأسواق، ولا يأكلون على قارعة الطريق، ولا في مسجد ولا في سوق[4] .

ومن آداب الظرفاء في موائد الطعام بأن « لا يكثرون من الضحك والكلام عند حضور مائدة الطعام، ولا يخللون على المائدة قبل أن تفرغ، ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع، وإ ذا غسلوا أيديهم لم يطلبوا الغسل قبل طلب أيتائها من الوسخ والكد[5] .

ويكرهوا تناول بعض الأطعمة، فهم لا يأكلون العصبة والعضلة، ولا العرق والكلوة، ولا الكرش، ولا الطحال والرئة، ولا يأكلون الثريد ولا يتحسسون المرق، ولا يتبعون مواضع الدسم(6)

ويؤكدوا على ضرورة عدم الشراهة في تناول الطعام، والابتعاد عن البدانة التي لا تليق بأجسام الظرفاء، ويقولون في ذلك أن العرب تمدح بالضمر وتذم السمن وتنسب أهل النحول إلى الأدب والمعرفة وأهل السمن إلى قلة الفهم[7] .

11. السواك

اعلم أن من زيّ الظرفاء، وأهل المروّة والأدباء، وأرباب الديانة والترفُّل، استعمال السِّواك والتسوُّك، فهو أنبل النظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المُروّة، ويرغب فيه أهل الظرف والفُتوّة، وله خِصالٌ مستحسنةٌ، وهو أيضاً من السُّنّة[8] فإذا فرغوا من طعامهم غسلوا أيديهم ، وصبوا عليها ماء الورد[9] أو العطر واهتمو بتنظيف أسنانهم، واستخدموا في ذلك السواك واعتبروا ذلك « أنبل للنظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المروءة، ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة، وله خصال مستحسنة، وهو أيضاً من السنن[10].

واستعملوا السواك لأنه يبيض الإسنان ويصفي الأذهان ويطيب النكهة ويشد اللثة ، ويجلوا البصر، ويشهي الطعام وقد استعملوا للمساويك الأراك، والسكر وجعلوا لها أوقات معلومات ، فأجازوا استعمالها بالغدوات والعشيات ، في الصباح والمساء ، على الريق وقبل النوم وعند الظهر وفي نهار الصوم وكلما اغربوا في اتخاذ المساويك كان ذلك أكمل لظروفهم ، فإذا استاكوا وضعوا مساويكهم في الطسوت اللطاف وأباريق الشبه لحفظها من الغبار، وربما اتخذوا لها لفائف من الحرير وعصائب من القز ، ليصونها من الدنس ، بل وربما اتخذوا لها بعد ذلك كله كراسي الآبنوس المصدفه ، والخيزران ، المشبكة يجعلونها عليها[11] .

إلا أنهم ووفق ذوقهم الرفيع والمتحضر، وضعوا تعليمات للأماكن التي لا يجوز فيها التسوك وهي: الخلاء والحمام ، وقارعة الطريق، ومحفل الناس، وأن لا يتسوك وهو متكئ ولا نائم ولا يستاك وهو يتكلم[12].

(1) ابن المعتز، عبد الله بن محمد (ت: 296هـ/ 908مـ) طبقات الشعراء، تحقيق ؛عبد الستار أحمد فراج الناشر: دار المعارف ، ط3 (القاهرة ، د.ت) ص98 .
(2) البيروني، الجماهر، ص165 .
(3) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ج5، ص153
(4) الوشاء، الموشى، ص 220 .
(5) الوشاء، الموشى، ص 193 .
(6) الوشاء، الموشى، ص 191 .
(7) الوشاء، الموشى، ،ص 79 .
(8) الوشاء، الموشى ج1، ص184
(9) ادم متز، الحضارة الاسلامية ،ج2، ص195
(10) الوشاء ، الموشى، ص 210 .
(11) الوشاء ، الموشى، ج1، ص186 .
(12) الوشاء، الموشى ،ص 211 .

12 . ا الفاكهة عند الظرفاء

وللفواكه عند الظرفاء مدلولات ومعان، وعندهم أهمية خاصةٍ للتفاح، ويبين لنا الوشاء في كتابة الموشى حبهم إلى التفاح بالقول: «أعلم أن التفاح عند ذوي الظرف والعشاق، وذوي الاشياق لا يعد له شيء من الثمر ولا النور والزهر كيف وبه تهدأ أشجانهم، وبورده تسكن أحزانهم، وعنده يضعون أسرارهم، وإليه يبدون أخبارهم، إذ كان عندهم بمنزلة الحبيب والأنيس، وبموضع الصاحب والجليس، وليس في هدايا هم ما يعادله، ولا في الطافهم ما يشاكله لغلبة شبهه بالخدود الموردة والوجنات المضرجة، وهو عندهم رهينة أحبابهم، وتذكر أصحابهم، إلى وردته يتطربون وبرؤيته يستبشرون، ولهم عند نظرهم إليه أنينن، وعند استنشاق رائحته حنين»[1] لقد كان من أعجاب الظرفاء بالتفاح أن يتهادونه فيما بينهم، وخاصة بين العشاق، وعلى وجه الخصوص التفاح المعضوض[2].

وذهبوا إلى كتابة أبيات من الشعر على التفاح وتعطى إلى الآخرين لمعرفة ما يريدون التعبير عنه، وتكتب هذه الأبيات بماء الذهب أو الفضة[3]ويقول أحد الظرفاء في فضل التفاحة ومحاسنها:

تفاحة جاءت، وقد علقت وركبت بالورد والأسى

أشرب كأسي على ريحها بالرغم من أهلي وجلاسي[4]

وأهتم الظرفاء بالنارنج وذكروه في قصائدهم الشعرية، يقول الشاعر، ابن المعتز في ذلك:

و أشجارُ نارنجٍ كأنذ ثمارها

حِقاقُ عَقيقٍ قد مُلِئنَ مِنَ الدُّرِّ

مطالعها بينَ الغصونِ كأنها

خخدودُ عذارى في ملاحفها الخضر[5]

ومن الفواكه الأخرى والتي نالت الأعجاب عند الظرفاء هو (الرمان) وتفاءلوا به، ويبدو ان ذلك يعود في أن نصف كلمة (رم) و (آن) والرم يعني إصلاح الشيء بعد خرابه، وإ ذا ألتقيت الكلمتان فأصبحت (الإصلاح الآن)، وهو جانب كبير في اهتمام الظرفاء لإقامة المصالحة وإ صلاح ذات البين بين العشاق الظرفاء المتخاصمين، وقال أحد الظرفاء في ذلك:

أهدت إليه بظرفها رماناً ... تنبيه أن وصالها قد آنا

قال الفتى لما رآه تفولاً ... صل يكون متماً أحياناً

رم يرم تشعثني بوصالها ... لقد التفول صادفاً قد كانا[6]

ويبدو لنا أن أسماء الأشياء التي تحيط بالظرفاء لها دور مؤثر في تفضيل الأشياء على بعضها أو كراهيتها، تماشياً مع مفهوم وعقيدة التطير التي كانت سائدة في

تلك العصور التاريخية.وكره الظرفاء إهداء الليمونة بينهم وخاصة بين الأحباء والعشاق، لأنها جميلة في مظهرها، ولكن في باطنها حامض، وهذه صفة غير مرغوبة عندهم[7].

فضلاً عن هذا ، فهناك عدد من الأطعمة من الخضروات والفواكه، غير مرغوب في تناولها ومنها: الفجل، الهندبا، الثوم، البصل، الخس، الخيار، الجزر، الزيتون، وسائر الأرطاب والمشمش والنبق والعنب والخوخ والأجاص، والتين والبطيخ[8].

(1) الوشاء، الموشى، ص 207 .
(2) الوشاء، الموشى ، ص 208 .
(3) الوشاء، الموشى ، ص 249 .
(4) الوشاء ، الموشى، ،ص 72

(5) ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد بن المتوكل (ت : 296 هـ/ 909 م) ، ديوان ابن المعتز، دار صادر ، (بيروت، د.ت)، ج 1، ص 50 .
(6) الوشاء ، الموشى، ص 202 .
(7) ديوان ابن معتز ، ج 1، ص 68 .
(8) الوشاء، الموشى، ص 194 .

ومن مكروهات الأطعمة لدى النساء المتظرفات فهي المالح والمملوح في منازل متعشقيهن، ولا يأكلون الجراد والأربيان، لعلة بالأشياء القبيحة من الحيوان، ولا يأكلون الحبوب التي تهيج الأرياح وتولد القرقرة والانتفاخ[1] ولا يتعاطى الظرفاء شرب العصائر من كان « شرابه أسوده ، ولا يشربون الا أجوده ، مثل المشمش، والزبيبي، والمعسل[2] أما شرب الماء ، فأنهم « لا يشربون ماء الأحباب، ولا الماء في دكاكين الشراب، ولا ماء المساجد والسبيل[3].

سيرة المتظرفات (سيدات الذوق الرفيع في العصر العباسي)

تميزت السيدات المتظرفات بالذوق والنعومة وما كن يصنعنه للتظرف والتجمل والتزين وهذ جزء من غرائز النسوة راغبات في التزين منذ نشأتهن .

فكانت ملابسهن فكانت مما تندر وفخر وغلا ثمنه ، فاستخدمن « الأردية الطبرية والحرير المعين والمقانع النيسابورية، وأزر الملحم الخراسانية، والكمام المفتوحة، والسراويلات البيض المذيلة، ولا يلبسن شيئاً في التكك ولا النقية الألوان، ولا من الثياب البيض الكتان، الا ما كان ملوناً في نفسه أو مصبوغاً في جنسه، ولا يلبسن من الثياب الأصفر والأسود والأخضر والمورد والأحمر والأزرق، والحداد من لبس الأرامل فلا يلبسونه[4]. في حين كان اللون الاحمر ، اية الفرح والطرب والسرور[5]

ولقد رغبن في الوشي رغبة شديدة فأنتشر بينهن وكانت زبيدة وهي من الظرافة بمكان تلبسه دائما حتى صنع لها من الوشي الرفيع ما بلغ ثمن الثوب منه خمسين الف دينار[6] .

وهنالك اهتمام للنساء في العصور العباسية بالعصائب، باعتبارها رونقاً فوق الرؤوس، فأخذ النساء المتظرفات في تعميق ظرفهن عندما نقشن نقوشاً جميلة على عصائبهن بالأبريسم والذهب [7]. وهنالك من المتظرفات من كتبن أبيات الشعر على عصائبهن ومناديلهن[8].

وقد يضعن التيجان فوق رؤوسهن المكللة بالجواهر والياقوت والذهب ، وربما صنفن الذهب على شكل النرجس وشابوه بالفضة وجعلوه حول التيجان[9]، وكانت هذه التيجان من اظرف الزينة ، وكانت الظريفات المترفات يرغبن فيها، ومرة حضر الخليفة المامون وليمة غنت فيها المغنية وظهرت ثلاث قينات حسان توجن رؤوسهن بتيجان ذهبية مكللة بالجواهر[10].

هذا وقد لبس المتظرفات القلائد المفصلة، والمعاذات المخرمة بشرابات الذهب المشبكة،

(1) الوشاء، الموشى ، ص 192 .
(2) الوشاء، الموشى، ص 196 .
(3) الوشاء، الموشى ، ص 220 .
(4) الوشاء، الموشى ، ص 184 .
(5) الأصبهاني ، أبو الفرج ،علي بن الحسين بن محمد (ت: 356هـ/ 966م)الاغاني، دار إحياء التراث العربي ط1 (بيروت، 1415هـ) ج19، ص133

(6) المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت: 346هـ/ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة (قم،1409هـ)، ج2، ص 366
(7) الوشاء، الموشى ، ص 187 .
(8) الوشاء، الموشى ، ص 256-260 .
(9) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ، (ت، 310هـ/ 922م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ؛ على مهنا: دار التراث ، ط2، (بيروت ، 1387 هـ)، ج10، ص543
(10) الإتليدي: محمد، المعروف بدياب (ت: ق 12هـ/ 1785م) نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، تحقيق ؛محمد أحمد عبد العزيز سالم ، دار الكتب العلمية، ط1(بيروت ، لبنان ، 1425 هـ / 2004 م) ص103 .

واختاروا فصوص خاصة لهذه القلائد والتي تعطي للمرأة رونقاً وجمالاً و من هذه الفصوص: البلور ، حب اللؤلؤ، وسائر صنوف الياقوت والجوهر[1].

أما المتظرفات فاتخذن الخفاف المطبقة ويضعن عليها فصوص الياقوت لأحمر، والزمرد الأخضر[2]. ويبدو أن هذا النوع من الخفاف يرتديهن المتظرفات الغنيات وقد يكون ذلك بمشاركة الأخريات من الفتيات غير المتظرفات،اما الخفاف فكن يجعلنها من الديباج ويزوقها بالجواهر والإشعار وقد يجعلن من الفضة[3] وكانت زبيدة تزوق الخفاف بالدرر والجواهر[4] .

كن يعتنين به ويبذلن جهدهن في التصفيف والتسريح ، وكانت عريب تدع جواريها يغسلن رأسها ويسرحن شعورها ثم تضع المسك والعنبر(5) وكانت عند جعفر بن يحى وزير الرشيد جارية خاصة تمشط شعور جواريه وتزينهن له كل ليلة[6].

اما الطيب فكان لهن طيب خاص ، فكانت عطورهم هي الصندل- والقرنفل، والمعجونات والزعفران والخلوق والكافور وماء الكافور ، وسائرصنوف الأدهان من البنفسج والزنبق[7].

وكان زيهن في الحلي لبس مراسل الكافور ومخانق القرنفل والقلائد الذهبية ويتخذن اللؤلؤ والحب الأحمر والكارما الأصفر وأصناف الياقوت والجواهر[8] .

وامر اخر ذو شان هو احتفالهن بالازهار فكن يتزين بها ويجعلنها اكاليل على رؤوسهن ، وقد اعجبوا منها بالبنفسج [9]. اما الورد فقد افرطوا في نعت حسنه وتفضيله ، فكانوا يفرشون المجالس بفرش مورد ويلبسون الثياب من لون الورد ويتهادون الورد ويشربون على رائحته وشكله ومنظره[10].

أما خواتيم النساء المتظرفات فيتختمن بخواتيم ذات اشكال تشبه القرون، ولا يحسن لهن التختم بالمينا والعقيق والفضة والحديد لأن ذلك من لبس الرجال والأماء.

وأتخذ بعض الظرفاء كتابات على فصوص خواتيمهم، وأغلب هذه الكتابات متعلقة بالشعر والأدب والعشق[11].

الخاتمة

مما تقدم طرحه نستخلص الأتي :

1. إن من علامات السعادة للإنسان أن يرزق ذوقاً سليماً مهذباً؛ فإنه إذا كان كذلك عَرَفَ كيف يستمتعُ بالحياة، وكيف يحترمُ شعورَ الآخرين ولا ينغص عليهم، بل يدخل السرور عليهم؛ فصاحب الذوق السليم قادرٌ على استجلاب القلوب، وإدخال السرور على نفسه وعلى من حوله.
2. الذوق هو الحاسَّة المعنوية الشفَّافة التي تدعو صاحبَهَا إلى مراعاة مشاعر الآخرين، وأحوالهم، وظروفهم، وهو أدبيَّات التعامل مع الناس، وهو الفنُّ الجميل في العَلاقة مع الآخرين.

(1) الوشاء ، الموشى ، ص 187 .
(2) الوشاء ، الموشى ، ص 187
(3) الوشاء ، الموشى ، ،ج2، ص182
(4) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص17
(5) الاصفهاني، الاغاني، ج18، ص187.
(6) الإتليدي: اعلام الناس ، ص81.
(7) الوشاء، الموشى ، ص 186 .
(8) الوشاء ، الموشى ، ج2، ص128
(9) الاصبهاني، الاغاني، ج7 ، ص206 .
(10) الاصبهاني، الاغاني ، ج12 ، ص110 .
(11) الوشاء، الموشى ص 244 – 248 .

3. للذوق أنواع كثيرة حض عليها رسول الله ﷺ وكان لنا فيها قدوة، منها جمال الذوق في طريقة المشي والصوت لطائف الذوق في الإسلام .
4. فقد ازدهرت الحضارة وازدهر الترف ويسرت الحياة فزهى الخلفاء والامراء والوزراء والظرفاءمن الندماء والشعراء، فليس من الغريب ان تولد هذه الحياة المترفة وتلك الدنيا التي حفلت بالجواهر والياقوت والذهب والفضة واللذة والشعر قوما لهم عاداتهم وطباعهم ولهوهم وذوقهم المتميز اسمهم الظرفاء والمتظرفات .
5. هنالك سمات عامة لهؤلاء الظرفاء في العصر العباسي ، وتظهر من خلالها التطور الذوقي والمعرفي الذي أفرزته التطورات الحضارية للعصور العباسية، فيمكن توصيف ذلك للظرفاء «لمن تكامل ظهور بزته وظهور طيب رائحته، ونقاء درنه، ونظافة بدنه، ولا تسخ له ثوب، ولايدرن له جيب، ولا ينفتق له ذيل، ولا في سراويله ثقب، ولا يطول له ظفر ، ولا يكثر له شعر.
6. تميزت السيدات المتظرفات بالذوق والنعومة وما كن يصنعنه للتظرف والتجمل والتزين وهن يمثلن الذوق الرفيع في الحياة في العصر العباسي .
7. لقد اسس الظرف والظرفاء والسيدات الظريفات المدرسة العربية الاسلامية في الذوق وقدموا صورة حضارية للعالم المتمدن في ريادة العرب المسلمين في هذا المجال .

المصادر

المصادر العربية أولا:

- القران الكريم
الأبشيهي، شهاب الدين أحمد (ت: 850 هـ/ 1446م) .
- المستطرف في كل فن مستظرف، المطبعة المحمودية التجارية، (مصر، د.ت).
- الإتليدي: محمد، المعروف بدياب (ت: ق 12هـ/ 1785م) .
- نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (بيروت ، لبنان ، 1425 هـ / 2004م).
الأزدي، محمد بن أحمد أبي المطهر (ت : منتصف القرن الرابع الهجري)
- حكاية أبي القاسم ، البغدادي، مكتبة المثنى، (بغداد، 1902) .
الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370 هـ/ 981 م) .
- تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار العربية للتأليف، (القاهرة، 1964).
الأصبهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد (ت: 356هـ/ 966م) .
- الاغاني، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى (بيروت،1415هـ) .
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت ، 256هـ/ 869) .
- صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى(مصر، 1422هـ،) .
البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت: 440هـ/ 1048م) .
- الجماهير في معرفة الجواهر، حيدر آباد (الدكن بالهند، 1936) .
الترمذي ،محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت:

279هـ/ 892مـ) .
- سنن الترمذي تحقيق وتعليق ،أحمد محمد شاكر الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الثانية، (مصر 1395 هـ/ 1975م). التوحيدي، أبو حيان علي بن العباس (ت: 414 هـ/ 1023 م) .
- الأمتاع والمؤانسة، شرح أحمد أمين، مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).
التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت: 384 هـ/ 994م) .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي، (بيروت، 1973) .
ابن تيمية، أبن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت، 728 هـ/ 1327م)
- مجموعة الفتاوى،تحقيق:أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3 (القاهرة، 1426 هـ).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت: 429هـ/ 1037م).
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الناشر: دار المعارف (القاهرة ، د.ت).
- المؤنس الوحيد، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت).
- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى(بيروت/ لبنان 1403هـ1983م).
- لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء، تحقيق د. عدنان كريم الرجب، ط ١، الدار العربية)للموسوعات، (بيروت، 1999).
الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ/ 868م).
- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا الناشر: المطبعة الأميرية – الطبعة: الأولى (القاهرة، 1332هـ / 1914م).
- التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق ، حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، (مصر، ، 1414هـ/ 1994م)،
- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 1، مكتبة الخانجي، (مصر، 1979).
ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ/ 1200م).
- أخبار الظراف والمتماجنين، شرح عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، (بيروت 1990).
ابن حجر العسقلاني ،: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل(ت، 852هـ/ 1448م) .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ، (بيروت، 1379 هـ).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ/ 1071 م).
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت) .
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 681هـ/ 1282م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق، إحسان عباس الناشر: دار صادر (بيروت، 1994م).
الدارمي، أبو محمد عبد الله (ت: 255هـ/ 868م).
- مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى (المملكة العربية السعودية ، 1412 هـ / 2000م).
ابو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ/ 888م).
- سنن أبي داود، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا (بيروت، د.ت).
الدمياطي، بدر الدين، (ت، 827هـ/ 1424م)،
- نزهة الادباء وتحفة الظرفاء ، تحقيق، محمد أبو شهدة وعبد الستار الغنيمي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2011) .
الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ/ 1108م).
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى، (بيروت، 1420 هـ).
الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ، (ت، 310هـ/ 922م)
- تاريخ الرسل والملوك، : دار التراث ، الطبعة: الثانية (بيروت ، 1387 هـ)

● ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت : 597 هـ/ 1200م) .
● العقد الفريد، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، ط 3، دار الكتب العلمية، (بيروت ، 1987).
الغزولي ، علي بن عبد الله البهائي الدمشقي (ت: 815هـ/ 1412م).
● مطالع البدور ومنازل السرور، مطبعة إدارة الوطن، (مصر، 1299 هـ).
ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276 هـ/ 889 م) .
● عيون الأخبار، دار الكتب)العلمية، (بيروت، د.ت)
القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: 453 هـ/ 1061 م).
● زهر الآداب وثمر الألباب، شرح د. زكي مبارك، ط ٤، دار الجيل، (بيروت، د.ت).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ/ 1372م).
● تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، الطبعة: الأولى (بيروت، 1419 هـ).
كشاجم، أبو الفتوح محمود بن الحسين (ت: 360 هـ/ 970 م).
● أدب الندماء ولطائف الظرفاء، مطبعة جرجي غرزوزي، (الإسكندرية، 1911) .
المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت: 346هـ/ 957م) .
● مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق: أسعد داغر، الناشر: دار الهجرة (قم، 1409هـ)
مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ/ 874م)
● صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي (بيروت ، بلا)
ابن المعتز، عبد الله بن محمد (ت: 296هـ/ 908مـ).
● طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الثالثة (القاهرة ، د.ت) .
● ديوان ابن المعتز، دار صادر ، (بيروت، د.ت).
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711 هـ/ 1311 م).
● لسان العرب،(قم – إيران 1405 ه).
ابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب إسحق (ت: 385 هـ/ 995 م).
● الفهرست ، دار المعرفة، (بيروت، د .ت)
النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: 303هـ/ 915م) .
● سنن النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ، الطبعة: الثانية، (حلب، 1406 هـ).
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733 هـ/ 1332 م).
● نهاية الأرب في فنون الأدب،)المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة ، د.ت)
الوشاء ، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت: 325 هـ/ 936 م)،
● الموشى والظرف والظرفاء. تحقيق كمال مصطفى، دار صادر(بيروت، 1065).
ياقوت ، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت، 626هـ/ 1228م).
● معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، (بيروت ، 1414 هـ / 1993 م).

ثانياً: المراجع العربية

إبراهيم أنيس وآخرون،
● المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،ط (بيروت، 1425 هـ/ 2004 م) .
الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي.
● نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار المنارة ، ط2 (السعودية ، 1409 هـ/ 1989 م)
السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ،
● تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ت: 1376هـ/ 1956م) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى (بيروت ، 1420هـ / 2000 م).
عبد الكريم عز الدين صادق،

- الحياة الاجتماعية لظرفاء بغداد في العصر العباسي المتأخر، مجلة الهدى ، العدد السادس ، كانون الثاني، 2016 .

عمرو خالد:

- الصبر والذوق (أخلاق المؤمن)، دار المعرفة ، (بيروت، بلا) .

عيد سعيد يونس

- التصوير الجمالي في القرآن الكريم،عالم الكتب، ط1 (بيروت ،1427 هـ/ 2006 م).

فتحي عامر

- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف ط1، (الإسكندرية ،1976م)،

متز، آدم .

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط 4 .

دار الكتاب العربي، (بيروت، 1967).